مجلة أسئلة و رؤى

مجلد رقم:2 عدد رقم: 4 مجلة دولية نصف سنوية

ISSN : 2773-2975 E-ISSN : XXXX-XXXX

https://www.asjp.cerist.dz/ar/PresentationRevue/833

# قاسم أمين ، المثقف وقضايا نهضة المرأة

**مصطفى ماضي**

"...الحرية الحقيقية تحتمل إبداء كل رأي،ونشر كل مذهب، و ترويج كل فكر."

هذا مقال هو تقديم سابق نشر سنة 1988 لكتاب قاسم أمين حول "تحرير المرأة"، رأيت إعادة نشره تكريما للمناضلة نوال السعداوي الكاتبة المصرية عرفانا لها في تحديها في مجاهرة المحظورات المتصلة بإشكال التدين المنقوص ،الجنس المنبوذ و سياسات تكريس مظاهر واقع التخلف الذي تعاني منه مجتمعاتنا.

عاش قاسم أمين(1908/1863)في عصر الأحداث الكبرى و الأفكار الكبرى.عاش الاستعمار الشرقي المتخلف، ثم الاستدمار الغربي للأمة العربية.

احتك بأفكار الحرية للثورة الفرنسية، و عايش أفكار تنوير النهضة العربية . آمن بالحرية والعدالة والمجتمع المدني.كان يكفر بالمجتمع الذكوري و يؤمن بالمجتمع الديمقراطي.

من منّا يستطيع، أن يكتب اليوم ليقول ما قاله هذا المثقف العربي، قبل بداية هذا القرن:" في البلاد الحرية يجاهر الإنسان بان لا و طن له، و يكفر بالله و رسله و يطعن على شرائع قومه و آدابهم وعاداتهم... يقول و يكتب ما شاء في ذلك..."، في عصر كانت المرأة حبيسة البيت و لا تستطيع الخروج إلا و هي مغلفة من رأسها إلى قدمها، تجرأ هذا المثقف العربي ليقول عاليا للمجتمع الأبوي-الذكوري:" المرأة و ما أدراك ما المرأة، إنسان مثل الرجل ، لا تختلف عنه في الأعضاء و وظائفها ، و لا في الإحساس و لا في الفكر..."[1].

و إذا كنّا نحن اليوم، نعيش في مجتمع المتحجبات و "المتحجبين" و لا يتجرأ احد منّا مناقشة هذه المسألة،فان قاسم آمين قد كتب منذ حوالي قرن ليقول:" لو أن في الشريعة الإسلامية نصوصا تقضي بالحجاب، على ما هو معروف الآن عند المسلمين،لوجب عليّ اجتناب البحث فيه و لما كتبت حرفا، يخالف تلك النصوص(...) لكننا

[1]-قاسم أمين، تحرير المرأة،ط.جزائرية (سلسلة الأنيس ) تقديم م.ماضي، موفم للنشر الجزائر1988.

E-ISSN : XXXX-XXXX ISSN : 2773-2975
https://www.asjp.cerist.dz/ar/PresentationRevue/833

لا نجد نصا في الشريعة يوجب الحجاب على هذه الطريقة المعهودة، و إنما هي عادة عرضت عليهم من مخالطة بعض الأمم،فاستحسنوها و أخذوا بها،ن و بالغوا فيها، و البسوها لباس الدين كسائر العادات الضارة التي تمكنت في الناس باسم الدين و الدين براء منها".[2]

في هذا العصر الذي عاش فيه قاسم أمين، عصر الاستبداد و هيمنة الفكر الغيبي،ظهرت الأفكار الكبرى المنادية و المطالبة بفصل السلطة السياسية عن السلطة الدينية و الأفكار الداعية الى السفور و الى تحرير المرأة من سلطة المجتمع الرجولي، الرجولي في أفكاره و في علاقاته الاجتماعية و حتى في سلوكاته اليومية.وهذا النوع من المجتمعات هو بطبيعته لاديمقراطي.

في هذا المناخ، كتب عبد الرحمان الكواكبي كتابه المرجعي"طبائع الاستبداد و مصارع الاستعباد" جمع فيه مجموعة من مقالات تناول من خلالها الاستبداد الشرقي و اظهر كفره بالحكم الفردي و إيمانه بحكم الشورى و الديمقراطية الدستورية التي لم يعرفها المجتمع العربي نتيجة السيطرة الاستعمارية الغربية و العثمانية و الهيمنة البطريكية.

قبل سنوات من مغادرة قاسم أمين هذا العالم "المتحجب"، قُتل عبد الرحمان الكواكبي مسموما لا لشيء ، سوى لأنه طالب بالحكم الدستوري.

بعد هؤلاء، ظهرت أفكار كبرى و مزعجة لعلي عبد الرازق تدعو لفصل السلطة السياسية عن السلطة الدينية، أفكار أزعجت أصحاب العمائم نشرها في كتابه المرجعي: " الإسلام و أصول الحكم". عرفت هذه الحقبة الزمنية سقوط الخلافة الإسلامية تحت أقدام مصطفى كمال أتاتورك الذي طارد في بلاده الخلافة و الإسلام المتعصب على السواء...و لأول مرة منذ اكُثر من ألف عام، أي منذ وفاة النبي محمد،خلت الأمة الإسلامية من الخلافة، و عندها تعالت الأصوات مطالبة بعودة هذه الخلافة و لابد من الإشارة هنا ان الانجليز كانوا من أنصار هذه الدعوة لتكون تحت رعايتهم.إلا أن هذا الشاب الأزهري و قف ضد هذه الدعوة قائلا بان القرآن و الأحاديث لم يرد

[2] قاسم أمين، نفس المرجع

E-ISSN : XXXX-XXXX ISSN : 2773-2975
https://www.asjp.cerist.dz/ar/PresentationRevue/833

فيهما أي نص على الخلافة كنظام للحكم يجب أن يلتزم به المسلمون وقال أيضا ان الخلافة الإسلامية لم تتم ابدا على أساس الاختيار الحر بل قامت بقوة السيف، و على السنة الرماح و جاء بالأمثلة و الحجج و روي كيف استباح يزيد دم الحسين ليستقر في الخلافة وجاء كتابه مدعما بالأدلة ليبرهن على أن الخلافة كانت حكما استبداديا غاشما.[3]

بعد هذه الأفكار التي جاء بها علي عبد الرازق، ثارت ثائرة أصحاب العمائم و تزعزعت كراسي و الملوك و أُتهم صاحبنا بالإلحاد و أصدرت هيئة علماء الأزهر حكمها بتجريد الشيخ عبد الرازق من العالمية و طرده و فصله من الزاهر و من سلك القضاة ، و هكذا تم اخراج الشيخ الأزهري الشاب من زمرة العلماء و أصحاب العمائم الأزهريين.

في هذا المناخ ، كان المثقف يقوم بدوره كمثقف بالمعنى الانتليجنسي، كان يناضل بالكلمة و القلم ليحرر مجتمعه من الغيبيات و الجمود الفكري،بحيث عمل الكثير من المثقفين المجددين كصحفيين في العديد من المجلات و الصحف المعبرة عن الفكر الليبرالي التحديثي أحيانا و التغريبي أحيانا أخرى و كما يقول محمد اركون(M.ARKOUN):"فبموازاة المجلات الإصلاحية ،كانت المقتطف و الجامعة و الجريدة و الهلال و المجلة الجديدة و العصور، لقد سهلت هذه المجلات تطور الجدالات و المطارحات السياسية و الدينية و العلمية كما ساهمت هذه المجلات خاصة في الانفتاح على الفكر الغربي الليبرالي".

و على غرار العصر العباسي، اشتهرت هذه الفترة بالترجمة، ترجمة و تعريب الفكر الغربي و خاصة من طرف مثقفي التيار الليبرالي الذي يمثله المثقفون العرب الليبراليونن منهم شبلي شمّيل الذي ترجم كتاب" فلسفة النشوء و الارتقاء" لبوفنر سنة 1868، و هو عبارة عن ست مقالات نشرها في مجلة المقتطف و يترجم من بعده إسماعيل مظهر كتاب داروين"أصل الأنواع" و يأتي بعدهما سلامة موسى و يخصص كتابين و عشرات المقالات للدروينية .كانت النظرية الداروينية يومها فكرا إلحاديا منبوذ لدى الأزهريين و المحافظين.

[3]- راجع ، علي عبد الرازق، الإسلام و أصول الحكم، تقديم زبير عروس(سلسلة الانيس) موفم للنشر.الجزائر

لقد تميز هذا العصر بالمعارك الفكرية الجادة و البناءة،المعتمدة على مناقشة الأفكار بالافكار و ليس بالتشويه و التضليل. بعد ان كتب مثقفو التيار الليبرالي عن الداروينية و العقلانية و الاشتراكية بحماس و انبهارن ردّ عليهم الشيخ جمال الدين الافغاني في كتابه"رسالة الرد على الدهريين" معارضا بالحجة القيم الحضارية الغربية بنقده المادية و العقلانية.

## المناخ الفكري لعصر قاسم أمين:

عاش قاسم امين مناخا فكريا نهضويا،طرحت فيه إشكالية النهضة العربية، من طرف حركات مذهبية متعددة، نذكر منها : المحافظون و المصلحون و المجددون، كل هذه الحركات تمركزت حول محورين أساسين: التقليدية و التحديثية أي ما يُعرف بالأصالة و المعاصرة بلغة اليوم.

يمكن لنا تلخيص التقليدية، في كونها مسايرة لنظام الحكم آنذاك، باستبداده العثماني و استدماره الغربي؛ كما انها تتميز بالسلبية تجاه كل ما هو جديد و جديث و خاصة منها اشكال التجديد و التغريب القادمة من الغرب.تمحورت التقليدية حول العصر الذهبي الإسلامي متمنية استعادة الماضي المجيد و مطالبة بانبعاث الإسلام في ظل النظام القائم أي في حدود الجامعة الإسلامية و الخلافة. استمدت الحركة التقليدية مصادرها من التراث الإسلامي دون إصلاحات تذكر، لذلك سميت بالتقليدية المحافظة وتستمد هذه الحركة قوتها البشرية من زمرة علماء الأزهر و شيوخ الزيتونة ...

المصلحون هم بدون شك جمال الدين الأفغاني و تلامذته ، نذكر منهم على وجه الخصوص محمد عبده و الطهطاوي و عبد الرحمان الكواكبي و الشيخ الشاب عبد الرازق، الثائر المنشق عن شيوخ الأزهر، و بقية القائمة أمثال شكيب أرسلان و أديب إسحاق و غيرهم...الحركة الإصلاحية، هي نسبيا حركة متنورة و متسلحة بوعي إصلاحي و عقلاني لوضع الإسلام، تطالب بالتغيير و الاجتهاد في إطار الإسلام، إلا أنها تتفق مع الحركة المحافظة أكثر من اتفاقها مع حركة التجديد.

مجلة أسئلة و رؤى
مجلد رقم:2 عدد رقم: 4 مجلة دولية نصف سنوية
E-ISSN : XXXX-XXXX ISSN : 2773-2975
https://www.asjp.cerist.dz/ar/PresentationRevue/833

شهدت هذه الفترة،فترة القرن التاسع عشر، احتكاكا قويا بين الفكر الغربي و الفكر العربي النهضوي و بدأت عملية التفاعل بين المجتمعين الغربي و العربي و بخاصة خلال الحملة الفرنسية على مصر و الشام و ازدادت عملية التفاعل عن طريق البعثات و المدارس التبشيرية في عهد محمد علي الذي اعتمد كثيرا على البعثات العلمية لتحصيل العلوم الغربية.

كان رفاعة الطهطاوي(1801-1873) قد سافر إلى باريس و بقي فيها خمسة أعوام و بعد عودته اهتم بالتكاليف و الترجمة ،مساهما في تنوير العقل العربي، و عرض أفكاره حول التقدم و الحضارة العلمية في مؤلفه"تخليص الإبريز في تلخيص أخبار باريز" ثم جاء كتابه الثاني بعنوان"مناهج الألباب المصرية في مباهج الآداب العصرية ".اقتنع الطهطاوي في هذه الفترة الزمنية بضرورة الاحتكاك بالحضارة الغربية و الاستفادة من منجزاتها ليس فقط العلمية. بل و المدنية أيضا ،يقول:" ان سائر العلوم المعروفة معرفة تامة لهؤلاء الإفرنج مجهولة بالكلية عندنا، و من جهل شيئا فهو ون من أتقن الشيء ، و كلما تكبر الانسان عن تعلمه مات بحسرته" لقد تميزت كتابات الطهطاوي بالإعجاب و الانبهار لمنجزات الغرب المتمثلة في الديمقراطية و مشاركة المرأة في الحياة "الفرنساوية" حيث سبق قاسم أمين في الدعوة الى تعليم البنات و تربية المرأة، إلا أن الطهطاوي لم يتجرأ على مناقشة مسألة التحجب و سفور المرأة...وهل يستطيع أن يفعل ذلك و هو الإمام الذي رافق البعثة المصرية لفرنسا؟.

مما لا شك فيه ، أن هذه الفترة تميزت بالعطاء الفكري الغزير، و من بين رواد هذه المرحلة التاريخية ، قاسم أمين الذي احتج على كتاب داركور الذي ألفه عن المصريين سنة 1893، و وصفهم فيه بالتأخر نتيجة حجبهم للمرأة. كان قاسم أمين أول من رد على هذا الكتاب حيث رد عليه سنة 1894 بتكاليف كتاب باللغة الفرنسية بعنوان"المصريون".كان قاسم أمين من أولئك الذين يفضلون الفعل عن الانفعال[4].

## قاسم أمين و حركة تحرير المرأة:

[4]-**المصريون** أحد أهم كتب قاسم أمين، اصدر سنة 1892 بالفرنسية ردا على كتاب **الدوق داركور "** مصر والمصريون." حاول قاسم امين تفنيد اراء داركور واتهامه للمسلمين عموما والمصريين خصوصا .يعتبر كتاب المصريون واحدا من بين الكتب المرجعية التي تناولت موضوع أسس فلسفة عصر الأنوار من وجهة نظر المفكرين العرب.

مجلة أسئلة و رؤى

مجلد رقم:2 عدد رقم: 4 مجلة دولية نصف سنوية

E-ISSN : XXXX-XXXX ISSN : 2773-2975

https://www.asjp.cerist.dz/ar/PresentationRevue/833

ولد صاحبنا عام1863 بضواحي القاهرة، كان أبوه قائدا في الجيش برتبة"اميرلاي" أيام الخديوي إسماعيل.

تلقى تعليمه الابتدائي بالإسكندرية و واصل تعليمه الثانوي بالقاهرة. ومن القاهرة توجه الى فرنسا لمواصلة تعليمه الجامعي، و هناك بقي أربع سنوات، عاد بشهادة الاجازة في الحقوق سنة1881. بعد عودته، عُهد اليه العمل في قطاع العدالة رئيسا في العدي من المناطق المصرية. كان صديقا لمحمد عبده و جاءت حياتهما وسط عصر النهضة.إلا أن إشكالية النهضة عند أمين هي غيرها لدى عبده.

كان الأول يعطي الأولية للعلم دون مهاجمة الين و سلطته، في حين كان الثاني يحاول الربط بين هذا و ذاك. كان قاسم أمين مثل شبلي الشميل و فرح أنطون، يؤمن بالعلمانية و العقلانية متأثرا بالليبرالية الفرنسية و خاصة منها حرية التعبير و المعتقد، كان يمثل الفكر الأيديولوجي للبرجوازية المصرية آنذاك .كان المفكر المسلم الأول الذي أعلن صراحة و دون خوف:" يجب ان لا يخاف أحد في بلد حر حقيقة أن ينكر وطنه أو ينسف الإيمان بالله و رسله، او يطعن في قوانين أهل مجتمعه و عاداتهم".كان يقولن بل و كتب بقلمه:"من بين أسباب نكبتنا أننا نسند حياتنا على التقاليد التي لم نعد نفهمها، و التي نحافظ عليها فقط لأنها أعطيت لنا" و على حد قول صديقنا الراحل(السوسيولوجي الأمريكي من أصول فلسطينية)هشام شرابي[5]:" كان أمين بين قلة من مسلمي جيله،الذين نظروا الى الثقافة الإسلامية ،نظرة غير عاطفية و اتخذوا موقفا نقديا اتجاهها(...)إن امين لم يجس في كتاباته و في موقفه الاجتماعي بعض أرقى إنجازات الحركة الإسلامية العلمانية فحسب، انما جس أيضا بعض تناقضاتها الأكثر جذرية وهذا ما لم يفعله علمانيا مسلم سواه." و نحن بدورنا نعتقد ان قاسم أمين كان ثمرة طبقته المتفتحة على بوادر الثورة و التطور، كان عالمه الفكري هو عالم المثقفين العرب المسيحيين الكافرين بالشرق المستبد و كان من المؤمنين بالغرب و حرياته الفردية خاصة.

قال عنه زميله و صديقه،لطفي السيد،:"كان أمين صريح الرأي، عميق التفكير، وكان قليل الكلام، بل كان دائم التفكير في مشكلات مصر و المصريين و نصيبهم من الحضارة الحديثة...".

[5]-هشام شرابي،المثقفون العرب و الغرب،مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت

مجلة أسئلة و رؤى

مجلد رقم:2 عدد رقم: 4 مجلة دولية نصف سنوية

E-ISSN : XXXX-XXXX ISSN : 2773-2975

https://www.asjp.cerist.dz/ar/PresentationRevue/833

كان أمين، يؤمن بان لا نهضة لمجتمع نساؤه قاعدات، متحجبات و مقهورات، كان يدعو لتحررهن و التصدي لهيمنة المتخلفين من تقليديين و رجعيين و كل اتلذين يرون في المرأة الاّ "العورة" و "اللذة".

لقد تميز الجيل الليبرالي لقاسم أمين بالإعجاب و الانبهار بالحضارة الغربية لفكرها العقلاني المتمثل في الايمان بالعلم و الطبيعة و الإنسان و في كل ما حملته فلسفة الأنوار و التنوير، الاّ انه وجد نفسه في مجتمع كثرت فيه التيارات المتضاربة، فاختار هو أن يضرب هذا المجتمع في زاوية قوته و جبروته، الزاوية المتمثلة في "المسألة النسوية" و تعفن المجتمع الرجولي البطريكي الذكوري.

و بهذا يكون قاسم أمين قد استوعب و تفهم أسباب تخلف مجتمعاتنا العربية.في مجتمعاتنا هذه ن لا يستطيع الرجل أن ينطق باسم زوجته امام زملائه او حتى أصدقائه ن وحتى إن تجرأ على ذلك يستهين بها بقوله(خاصة في بلادنا): "العائلة"، أو "البيت"،"الدار"أو" حريمي" عند المتدينين، و في كثير من الأحيان و حتى في أيامنا هذه ، نجد الكثير من الرجال يقولون:" المراة انتاعي حشاك" أي على غرار قولهم" الكلب انتاعي حشاك"... اعرف منهم حتى بعض الجامعيين.....

وكما يقول المفكر هشام شرابي:"...من طبيعة النظام البطريكي انه في بنيته الاجتماعية يسحق المراة و يكبل الطفل، و في تركيبه السياسي يعامل المواطن كأداة و وسيلة لا كهدف بحد ذاته" و في هذا المجتمع الذكوري تمثل الشخصية البطريكية النمط المهيمن في السلوك و الفكر، و الذوق و الأدب و أسلوب التعامل مع الآخرين.

مع احتكاكه بالعالم الغربي، تأكد قاسم أمين بان الواقع العربي الإسلامي لن يحقق نهضته و لن يتغير نحو التقدم إلا بمحاربة الفكر الغيبي و حضور الإيمان بالعلم و الإنسان.

في هذه الفترة، فترة ازدهار المجلات و الدوريات و انتشار الصالونات،كان قاسم أمين يحضر ندوة الأميرة" نازلي فاضل" المثقفة المصرية التي تلقت تعليمها بالمدارس التبشيرية الإنجليزية مثل كافة بنات الارستقراطية المصرية و البرجوازية المتنورة و المتفتحة.

مجلة أسئلة و رؤى

مجلد رقم:2 عدد رقم: 4 مجلة دولية نصف سنوية

E-ISSN : XXXX-XXXX ISSN : 2773-2975

https://www.asjp.cerist.dz/ar/PresentationRevue/833

فتحت الأميرة نازلي بيتها(بتنظيم صالون ثقافي)مثلما فعلت الأديبة مي زيادة بعدها،الاّ أن الأميرة لم تفتح بيتها للأدباء و الشعراء، بل جعلته حلقة فكرية للإصلاح و التنوير.كان يتلاقى عندها نخبة من رجال المجتمع المصري و زعماء الإصلاح ليناقشوا شؤونهم الوطنية و السياسية و الفكرية، ومن بين هؤلاء الذين عرفهم قاسم أمين محمد عبده، سعد زغلول و الهبلاوي. و شارك قاسم امين مع هؤلاء إعجابهم بالمرأة المثقفة و المفكرة التي تفهمت أسباب تخلف المجتمع و انحطاطه. كل أدبيات الحركة النسوية تشهد ان هذا الصالون كان بمثابة البداية الأولى لطرح المسألة النسوية في العالم العربي.

## تحرير المرأة: من رفاعة الطهطاوي إلى قاسم أمين

كان رفاعة رافع الطهطاوي من علماء الآزهر، ولما أرسل محمد علي البعثة الطلابية الآولى الى باريس،أرسل معهم الشيخ رفاعة ليكون إمامهم و مرشدهم ، و في الوقت الذي كان فيه أعضاء البعثة يتعلمون، كان الشيخ يقوم بوظيفة الإمامة لهم.و خلال مكوثه في باريس تعلم اللغة الفرنسية دون الدخول لأي مدرسة. و من أهم كتبه "المرشد الأمين للبنات و البنين" الذي ألفه بطلب من ديوان المدارس سنة 1862. في هذا الكتاب تناول الطهطاوي بالتحليل ضرورة تعليم البنات. كان الكتاب المذكور يستعمل للمطالعة في مدارس مصر الى ان دخل الاستعمار الإنجليزي، فمنع استعماله لأنه كان يدعو إلى تعليم البنات وكما يقول سلامة موسى:"...و الاستعمار مثل الرجعية ، هو اعدى الأعداء لنهضة المرأة و تعليمها"[6].

فماذا يقول الأزهري ، الإمام الذي زار باريس،عن تعليم البنات؟

يقول الطهطاوي:" ينبغي صرف الهمة في تعليم البنات و الصبيان معا لحسن معاشرة الأزواج. فتعلم البنات القراءة و الكتابة و الحساب و نحو ذلك.(...) و ليمكن للمرأة عند اقتضاء الحال أن تتعاط من الأشغال و الأعمال ما يتعاطاه الرجال على قدر قوتها و طاقتها.(...) فان فراغ أيدهن يشغل السنتهن بالأباطيل ، و قلوبهن بالأهراء و افتعال الأقاويل. فالعمل يصون المرأة عما لا يليق و يقربها من الفضيلة(...) و تعليم البنات لا يتحقق ضرره، فكيف ذلك و

---

[6] هشام شرابي نفس المرجع

مجلة أسئلة و رؤى

مجلد رقم:2 عدد رقم: 4 مجلة دولية نصف سنوية

E-ISSN : XXXX-XXXX ISSN : 2773-2975

https://www.asjp.cerist.dz/ar/PresentationRevue/833

قد كان من أزواجه-صلى الله عليه و سلم- من يكتب و يقرأ كحفصة بنت عمر ، و عائشة بنت أبي بكر، رضي الله عنهما و غيرهما من نساء كل زمان من الازمان(...) فالأدب للمرأة يغني عن الجمال لكن الجمال لا يغني عن الأدب لآنه عرض زائل".هذا قليل من الكثير الذي قاله الطهطاوي قبل هذا القرن.

في هذه المرحلة الزمنية من تاريخ الحركة النسوية المصرية،لم يوافق أصحاب العمائم على تعليم البنات، بحيث تعرض شيخنا رفاعة الطهطاوي الى معارضة رجال الدين و شيوخ الأزهر و لم يوافق هؤلاء الاّ بإنشاء مدرسة مهنية لتكوين الممرضات في اختصاص الولادة.

القارئ لكل صفحات كتاب الطهطاوي،يلاحظ بأن هذا الأزهري المتأثر بالحياة الباريسية كان يطالب فقط بتعليم بنات الطبقة البرجوازية دون بنات العامة من الشعب المصري. و حسب ما كتبهن فإن النخبة المثقفة، و التي يقصد بها شباب البعثات الطلابية عليهم الزواج بنساء متعلمات يحسن القراءة و الكتابة لخدمة أزواجهن و الرفع من مستوى الحياة الزوجية للنخبة المثقفة، حتى تستطيع هذه الأخيرة المساهمة في الإنتاج العلمي و تنوير المجتمع هذا أولا و ثانيا، فإن الطهطاوي اقتصر على تعليم البنات دون الدعوة الى السفور، أي انه كان يدعو إلى تعليم البنات دون الخروج إلى المجتمع و الاختلاط بالرجل. إنها دعوة محتشمة تطالب ب"مرآة مهذبة لنخبة مثقفة لتتزوج بمصريات دون فرنساويات".[7]

[7]- أين الطهطاوي من موقف نزار قباني القائل شعرا:" ثوري أحبك أن تثوري...ثوري على شرق السبايا والتكايا والبخور ...ثوري على التاريخ وأنتصري على الوهم الكبير... لا ترهبي أحدا، فإن الشمس مقبرة النسور ثوري على شرق يراك وليمة فوق السرير".

ربما لا يصح لنا مقارنة الطهطاوي بنزار قباني، ولكن هل نسمح لأنفسنا بمقارنته بخريج جامعة الزيتونة، الطاهر الحداد عندما بدأ بنشر بعض الأفكار التي لم يجرؤ غيره على مناقشتها وتقديمها للعامة، وتحديداً في كتاب "امرأتنا في الشريعة والمجتمع" الذي نشره في أكتوبر عام 1930، حتى مدحه الأديب المصري طه حسين قائلاً: "لقد سبق هذا الفتى قومه بقرنين." مما لاشك فيه ان كتاب الحداد"امرأتنا في الشريعة والمجتمع" تناول فيه مواضيع حساسة و خطيرة متعلقة بالمرأة، في إطارَيْ الشريعة والمجتمع، وذلك على غرار المساواة بين المرأة والرجل، ومسألتي الطلاق والميراث وموضوع الحجاب.أن دعوات تحرير المرأة قبل الحداد كانت محتشمة ولم تبلغ المرتبة التي تبناها هو، رغم أنه شيخ زيتوني تقليدي محافظ.

مجلة أسئلة و رؤى

مجلد رقم:2 عدد رقم: 4 مجلة دولية نصف سنوية

E-ISSN : XXXX-XXXX ISSN : 2773-2975

https://www.asjp.cerist.dz/ar/PresentationRevue/833

## من تعليم البنات الى سفورهن

اذا كانت سنة 1872 هي سنة الدعوة إلى تعليم المرأة، فإن سنة 1897 هي سنة الدعوة الى السفور و إطلاق سراحها من سجون المجتمع الرجولي و تحريرها من قيود البنيات المجتمعية الذكورية البطريكية.

في هذه السنة كتب قاسم أمين"تحرير المرأة"بجرة لا مثيل لها و شجاعة نادرة، كان يحس انه يسبق عصره و يعيش في غير زمانه.كان يؤمن بأن تحرير المرأة هو اصلاح المجتمع و تحريره من هيمنة الغيبيات و سيطرة الدراويش.كان هذا المفكر مقتنعا بأن مفتاح الخلاص للمجتمع العربي و الإسلامي كامن في التغلب على الجهل و نشر المعرفة العلمية و التنوير و إحلال التفكير مكان التكفير.

كانت دعوته الى السفور حدثا خطيرا. فبعد نشره لهذا الكتاب الذي هاداه للزعيم المصري سعد زغلول،تصدت له أقلام المحافظين و كل الذين كانوا يعيشون في جمود عقلي خاصة و انه كان يدعوا ليس فقط الى سفور المرأة بل و أيضا الى أكثر من ذلك الى تحديد تعدد الزوجات و السماح به فقط في حالتي عدم الإنجاب أو المرض، وهذا ما لا يسمح به التيار المحافظ في هذا الجزء المتخلف من العالم.كانت المقاومة شرسة خاصة و أنهم يجيدون تشويه و تضليل دعوة المصلحين أمثال قاسم امين و يتهمونهم بالكفر و الاستهتار. نذكر من بين معارضيه محمد فريد وجدي و طلعت حرب و العديد من شيوخ الأزهر و زمرة من رجال الصحافة المتخلفين فكريا، و لحسن حظه ، سانده في دعوته لسفور المرأة ، الزعيم السياسي سعد زغلول و زوجته و محمد عبده و الكاتب حافظ إبراهيم و لطفي السيد و المازني الخ...

رغم المعارضة الشديدة المصحوبة بالتشويه و التضليل ، كان صاحبنا يؤمن بان واجبه تنوير العقول من الجمود، ولهذا لم يهتم باللذين عارضوه و اكتفى بالقول لهم:" لو انتظر المصلحون دائما رضا الرأي العام لما تغير العالم عمّا كان عليه من زمن آدم و حواء".

و هكذا شاعت دعوة قاسم امين خارج الحدود المصرية و عمت البلاد العربية و تُرجم كتابه هذا سنة 1928 الى اللغة الألمانية كما تُرجم كتابه الثاني"المرأة الجديدة" الى اللغة الروسية قبل الثورة البلشفية على يد المستشرق

E-ISSN : XXXX-XXXX ISSN : 2773-2975

https://www.asjp.cerist.dz/ar/PresentationRevue/833


الشهير كراتشكوفسكي عام 1912. و أُعتبر هذا الكتاب بمثابة وثيقة عمل الحركة النسوية التي ظهرت في بلدان الشرق العربي.

## من دعوة قاسم أمين للسفور إلى رمي هدى الشعراوي لحجابها ...

بدون هوادة و بعد ثلاث سنوات من كتابه الأول، اصدر قاسم أمين الكتاب الثاني تحت عنوان أكثر جرأة:" المرأة الجديدة". الكتاب و بهذا العنوان هو تعبير لهذا النضال الفكري و هذا الحضور الانتليجنسي[8] الذي تميزت و امتازت به مصر آنذاك ،ممارسة في ارض الواقع المجتمعي، حيث ظهر لقاسم امين العديد من المؤدين و الأتباع و منهم بخاصة المرأة البرجوازية الشجاعة "ملاك حفني" التي اتخذت لنفسها اسما مستعارا بعد زواجها"باحثة البادية". تحت هذا الاسم ، كانت هذه المرأة الثائرة تنشر مقالاتها في الصحافة المصرية مُطالبة بمساواة المرأة و سفورها حتى أنها تجرأت خلال انعقاد المؤتمر الوطني المصري ،سنة 1910 و أرسلت للمجتمعين عريضة احتجاجية تُطالب فيها بحق المرأة في التعليم الثانوي الذي كان مقتصرا على الذكور آنذاك .

توفي قاسم أمين و رحل حيث لا يعود جسما الاّ انه بقي روحا و فكرا، حيث ظهر شاب من التعليم الثانوي، نعم الثانوي، اسمه عبد الحميد حمدي و جعل من قلمه محاميا و مدافعا عن حقوق المرأة. و لمواصلة مسيرة قاسم أمين، انطلق هذا الشاب سنة 1906 في نشر مقالاته بفضل وبتأييد من أحمد لطفي السيد الذي كان يرأس آنذاك تحرير صحيفة الأمة.

في سنة 1915 عرفت الساحة الإعلامية و الثقافية المصرية، إن لم نقل العربية،منعطفا إعلاميا جدير بالاهتمام آلا و هو تأسيس مجلة أسبوعية جريئة ليس فقط بمحتواها بل و بعنوانها: إنها مجلة "السفور".قام بتأسيسها الشاب عبد الحميد حمدي تجسيدا و تكريما لدعوة قاسم أمين . و من بين الذين ساعدوه في تحريرها و إنجازها و تزويدها بالمقالات: محمد هيكل،منصور فهمي، مصطفى عبد الرازق و طبعا طه حسين. استمرت مجلة

"السفور" في الصدور المنتظم حوالي سبع سنوات مساهمة في التنوير وناشرة للعقلانية مطالبة بفصل الدين عن الدولة الى أن اغتالتها الرقابة بحجة الخلل بالنظام العام.

تحققت معركة القلم و النشر، الكلمة المكتوبة و التحمت الفكرة بالواقع ، جاءت الممارسة أو لنقل "البراكسيس" و خرجت قضية المرأة و الدعوة لتحريرها من القصور و الصالونات البرجوازية إلى الشارع .و هكذا ا خرجت المسألة النسوية من الظلمات إلى النور بفضل و على يد نور الهدى الشعراوي، المرأة المثقفة عازفة البيانو،و الملمة بالتراث الشرقي بل و المستوعبة للفكر الغربي و المؤمنة بدعوة السفور لقاسم أمين؛ و الأكثر من ذلك، وهو الأهم ،كانت أول من نظم مسيرة شعبية في شوارع القاهرة تنديدا و احتجاجا على العدوان الإنجليزي الذي كان المساند لعودة الخلافة الإسلامية برعايته ، الخلافة التي عارضها علي عبد الرازق يومها بتأليف كتابه المرجعي"الإسلام و أصول الحكم".

مما لا شك فيه، أن سنة 1920 هي سنة الحسم و اللا-رجوع بالنسبة للمقاومة النسوية،في هذا العام تحديدا، بادرت المناضلة هدى الشعراوي مع مجموعة من زميلاتها بنات البرجوازية و صالونات القصور المتفتحات بتأسيس جمعية مدنية: "لجنة الوفد المركزية للسيدات". و هو تجمع حزبي يضم خمسة عشر سيدة برئاسة هدى الشعراوي و برئاسة شرفية للسيدة صفية زوجة رئيس حزب الوفد سعد زغلول.

واصلت هدى الشعراوي ، على مستوى مصر بكاملها تنصيب اللجان النسوية إلى إن ختمت نضالها بتأسيس "الاتحاد الاتحاد النسائي المصري و الذي مكنها من المشاركة في المؤتمر النسائي للرابطة الدولية للتصويت النسائي المنعقد بروما (ايطاليا)سنة 1923.

عند عودتها من هذا المؤتمر النسوي الدولي،وقع ما لم يكن ينتظر و ثار شيوخ الأزهر لا لشيء ا لاّ لآن صاحبتنا، هدى الشعراوي عملت بما أوصى به قاسم أمين: نزلت في الإسكندرية ،من الباخرة القادمة من إيطاليا، عارية الوجه، سافرة دون حجاب...

مجلة أسئلة و رؤى

مجلد رقم:2 عدد رقم: 4 مجلة دولية نصف سنوية

E-ISSN : XXXX-XXXX ISSN : 2773-2975

https://www.asjp.cerist.dz/ar/PresentationRevue/833

و هكذا و نتيجة للوسط النسائي البرجوازي المصري،حققت الحركة النسوية العديد من المكتسبات ، منها على وجه الخصوص منع زواج البنات قبل سن السادسة عشر، حق المرأة في التعليم الثانوي(1924)،اجبارية التعليم الابتدائي و حقها في التعليم الجامعي (1923) و أخيرا و في عهد هدى الشعراوي حقها في الانتخابات، و العديد من المكتسبات على غرار مكتسبات المرأة الأوربية، من أهمها تقنين عمل المرأة في القطاعين الصناعي و التجاري سنة 1933، حتى أنه في سنة 1935 عيّنت امرأة مصرية مفتشة العمل لمراقبة تطبيق القانون المشار اليه. و هكذا استمرت هدى الشعراوي في نضالها الى أن غادرت الحياة يوم 12ديسمبر من سنة 1944 و واصلت نضالها امرأة أخرى اسمها درية شفيق التي حققت مكتسبات جديدة الى أن جاءت قورة الضباط الأحرار و تحررت المرأة المصرية من قيود الاستعمار و سجون المجتمع الذكوري التقليدي والمحافظ.

إن الفكر التحرري لقاسم أمين و آرائه التنويرية لم تقتصر فقط على المرأة بل تناولت الكثير من المسائل الهامة و المواضيع المحرمة في مجتمعنا العربي. كان يريد من ان يحرر العقول و يخلص الفكر من الغيبيات و المقدسات وكان أمين في هذا الموضوع يطالب بإنشاء الجامعة التي لم تكن موجودة آنذاك بمصر.

اما الموضوع الثاني و الخطير الذي طرحه و تناوله قاسم أمين (و أيضا سلامة موسى)،فهو موضوع اصلاح اللغة العربية، فكما اقترن اسمه بتحرير المرأة و سفورها، اقترن اسمه أيضا بتحرير اللغة العربية من الجمود و القداسة، كان يرى بان الأزهريين لم يتخلصوا من قيود السجع و الترادف و أن قواعد اللغة اللفظ فيها قبل المعنى و فيه الحشو و المهجور و ان قواعد اللغة و الإعراب من أسباب الجمود في الفهم و التعبير،كان يرى:" ...في اللغات الأخرى يقرأ الإنسان ليفهم، اما في اللغة العربية فإنه يفهم ليقرأ...لذلك كانت القراءة عندنا من أصعب الفنون".

و مثلما طالب قاسم أمين بتحرير المرأة و اللغة، جاء بعده سلامة موسى وطرح قضية تحرير المرأة و أيضا تحرير و تطوير اللغة العربية.

## المراجع:

مجلة أسئلة و رؤى

مجلد رقم:2 عدد رقم: 4 مجلة دولية نصف سنوية

E-ISSN : XXXX-XXXX ISSN : 2773-2975

https://www.asjp.cerist.dz/ar/PresentationRevue/833

1. -قاسم أمين، تحرير المرأة،ط.جزائرية (سلسلة الأنيس ) تقديم م.ماضي، موفم للنشر الجزائر1988.
2. علي عبد الرازق، الإسلام و أصول الحكم، تقديم زبير عروس(سلسلة الانيس) موفم للنشر.الجزائر
3. لمصريون أحد أهم كتب قاسم أمين، اصدر سنة 1892 بالفرنسية ردا على كتاب الدوق داركور" مصر والمصريون." حاول قاسم امين تفنيد اراء داركور واتهامه للمسلمين عموما والمصريين خصوصا .يعتبر كتاب المصريون واحدا من بين الكتب المرجعية التي تناولت موضوع أسس فلسفة عصر الأنوار من وجهة نظر المفكرين العرب.
4. [1]-هشام شرابي،المثقفون العرب و الغرب،مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت